مستشفى ابن الهيثم: شحة في (الكوادر) والأجهزة الطبية وخيوط العمليات الجراحية

تحقيق وتصوير/ سها الشيخلي

العين هذا الجهاز المدهش الواصل بيننا وبين العالم الخارجي وبه نتمتع برؤية الاشياء الجميلة في الحياة ونعرف من خلاله الصديق والحبيبة والزهور.. كيف نحافظ عليه من الاصابة والتلف واذا اصيب كيف نعالجه؟ في مستشفى ابن الهيثم قد نستطيع الاجابة على هذين السؤالين وغيرهما اللذين ولدتهما زيارة هذه المستشفى.

مستشفى ابن الهيثم

يعد مستشفى بن الهيثم لجراحة العيون، المستشفى الحكومي الوحيد في العراق الذي يقدم خدماته الى سكان العاصمة وبقية محافظات العراق، الا ان ادارة المستشفى بالغت في التقيد بالروتين الاداري في تعاملها معنا كصحفيين، مع حصولنا على كتاب لتسهيل مهمتنا من وزارة الصحة، نود ان نشير هنا شاكرين الى دور المدير الاداري الذي قدم لنا المساعدة وخصص لنا احد العاملين في المستشفى لمرافقتنا في جولتنا الاستطلاعية لمعرفة اوضاع المستشفى ونواقصه وسلبياته وايجابياته واحوال المرضى والحالات التي يعانونها خصوصاً انها اختصاص معالجة امراض العيون التي يطالبوننا دائماً ان نفتحها لاجل عيون العراق.

مرضى يتحدثون

الصغير- حسوني- كان يبكي بحرقة وهو معصوب العينين فقد اخترقت شظايا حاقدة كلتا عينيه واحالت نهاره ليلاً داميا.. كان حسوني البالغ من العمر ١٠ اشهر يهز رأسه ملتاعاً.. بينما انهمرت دموع والدته، التي قالت لنا:

-كان يحتمي بصدري وتحتضنه ذراعاي عندما كنت اجلس بجانب والده في السيارة.. الا ان عبوة ناسفة انفجرت اثناء مرورنا فتطايرت الشظايا بوجه الصغير ثم تجهش بالبكاء.. تواصل حديثها.. حدث ذلك في منطقة الغزالية.. الطبيب اخبرنا ان الاصابة شديدة وربما يفقد حسوني بصره.. انه لم ير من الحياة شيئاً وحكم عليه بفقدان البصر.

كنت في حيرة.. لا ادري كيف اتعامل مع تلك المسكينة.. اردت مواساتها باخبارها ان التقدم الطبي والعلمي سيجد الحل لمشكلة الصغير فمن يدري ما يخبئه لنا مستقبل العلم وتطوراته؟

قالت الام بصبر نافد.. حسبي الله ونعم الوكيل لتلك اليد الآثمة التي زرعت العبوة في الطريق اتمنى وادعو لها بالشلل.

ولم تمانع ام حسوني في التقاط صورة للصغير.. ونادت باسمه لكي يتوجه الى العدسة! فتاة شابة بعمر ١٤ ربيعاً اسمها عفاف.. كانت حزينة ومتألمة للاضرار البالغة التي لحقت بعينها اليمنى.. لكن امها كانت تهون عليها في ان الله لطف بحالها وترك لها عيناً واحدةً سليمة سألت عفافاً عن سبب اصابتها فقالت انها كانت في سوق بمدينة الصدر فحدث ان فجر إرهابي انتحاري نفسه وسط السوق ففقدت عيني اليمنى رفضت عفاف التصوير رغم ان امها لم تمانع.

مصادفة

الشاب علاء عمره ٣٠ عاماً يعمل كاسباً في منطقة الزعفرانية كان يضع ضمادة على عينه. ويبدو متفائلاً اكثر من الآخرين.. قال علاء:

الزعفرانية تتعرض دوماً الى اعمال ارهابية يذهب ضحيتها الابرياء.. حدث انفجار في الحي الذي ذهبت اليه للاطمئنان على صحة قريبي وتطايرت الشظايا لتستقر في ذراعي ووجهي وعيني إلا ان الطبيب يقول ان اصابتي ليست بالخطرة.. العمليات التي تجرى في هذا المستشفى قليلة وليس لكل الحالات كما ان خيوط العمليات الجراحية كما يقولون غير متوفرة.. وعلى المريض الانتظار لفترات طويلة قد تسوء حالة عينيه وقد يفقد البصر نهائياً جراء ذلك.. لماذا لا توفر الدولة احتياجات هذا المستشفى؟ كما ان غالبية الاطباء خارج العراق بسبب الارهاب الذي يلاحقهم فمن يتبقى لنا نحن الذين نحتاجهم في البلد؟

عمى الالوان

المريض جبار كريم (٥٠) سنة كان يستمع الى حديثنا فقال: المستشفى يعمل بقدرة قادر.. فلا ادوية ولا كوادر اختصاصية الاطباء اما خارج الوطن او هم في اجازة.. البعض منهم يخشى الالتحاق بعمله تحسباً لامور عديدة. فهم مستهدفون المريض جبار يشكو (عمى الالوان) ويقول ان حالته هذه اخذت تتدهور إلا ان حالته الان تفاقمت فهو يرى كل الالوان سودا.. ويقول ان العلاج في الخارج يأتي بنتيجة حسنة لكنه لا يستطيع السفر من اجل العلاج لانه لا يملك اجور العملية هناك.

اين الادوية؟

المريضة زكية ابراهيم (٦٠سنة) تشكو العشو الليلي وتقول انها لا ترى ابسط الاشياء اثناء الليل وقد جاءت من اجل الفحص والعلاج وقد وافقت السيدة زكية على ان تسجل عدستنا صورة لها اثناء فحصها بينما الدكتورة رفضت الظهور في الصورة تقول المريضة ان الادوية قليلة ولا تتعدى بعض القطرات الخاصة بتعقيم العيون المريضة شكرية خير الله من محافظة البصرة تقول ان العمليات شبه متوقفة في هذا المستشفى رغم تكاثر عدد المرضى فهي تعاني تمزق الشبكية وتحتاج الى عملية عاجلة وعليها الانتظار الى شهر كانون الاول القادم وتتساءل شكرية.. هل يمهلني المرض الى تلك الفترة؟ زوج شكرية المرافق لها يقول لماذا مستشفى واحد لكل العراقيين في ظل مفخخات وتفجيرات!؟

قسم السونار

يشهد هذا القسم ازدحاماً شديداً.. يقول مسؤوله الذي رفض ذكر اسمه ان القسم يستقبل كل يوم من ٤٥-٥٠ مريضاً الغالبية منهم ضحايا التفجيرات وكذلك بقية الاقسام تشهد الازدحام المماثل وخاصة صالات العمليات الصغرى.. الاطباء والطبيات رفضوا الحديث او التعليق او حتى الشكوى..

المستشفى بصورة عامة يفتقر الى التنظيم فالاهمال يطالعك في مؤشرات عديدة منها تناثر الاوراق ولفائف القطن الصغيرة واعقاب السكائر المرمية على الارضية والممرات.

وقد رفض غالبية المنتسبين الحديث عن النواقص التي يشكوها المستشفى سألنا عن توفر اجهزة الليزر فلم نحصل على جواب لكننا علمنا ان هناك جهازين لليزر نوع (اكزيمر ليزر) وهما لا يسدان حاجة المستشفى..

مدير المستشفى وخيوط العمليات

مدير المستشفى الدكتور عمار عبد الرزاق عبود اجاب على اسئلتنا مشكوراً.. لكنه امتنع عن الاجابة على سؤالنا التالي حول إفتقاد المستشفى خيوط العمليات المتوفرة في المستشفيات الخاصة.. إلا انه اجاب على بقية الاسئلة.

❖ لماذا يعاني المستشفى من نقص في كوادره؟

- لا يخفى على الجميع ما تعرضت له الكوادر الطبية من ضغوط امنية وتحديداً حملة الشهادات والاختصاصات العلمية والذي ينعكس على مستوى الاداء وتقديم الخدمات في المستشفى

•يعاني المرضى من التأخر في اجراء العمليات الجراحية ما تعليقكم على ذلك؟

- لخصوصية مستشفانا باعتباره المركز التخصصي الوحيد في طب وجراحة العيون في العراق، نرى ان المراجعين يقصدونه من كل المحافظات دون استثناء لتوفر كل انواع الخدمات العلاجية لامراض العيون حتى المعقدة منها الامر الذي يؤدي الى زخم كبير في عدد المرضى المراجعين مما يطيل فترة الانتظار لاجراء العمليات الجراحية.

•هل تتوفر الاجهزة والمعدات الطبية الكافية في الوقت الحاضر؟

- تتوفر كل الاجهزة والمعدات الحديثة فحص وعلاج المرضى واجراء العمليات الجراحية بالتقنيات الحديثة وقد جهزت وزارة الصحة المستشفى باجهزة عديدة قبل فترة قصيرة والادارة مستمرة بالتنسيق مع الجهات المعنية في الوزارة لتجهيزنا بمعدات ومستلزمات اخرى.

مشاهدات

من خلال جولتنا في المستشفى اتضح لنا ان المستشفى يعاني شحة كبيرة في خيوط العمليات رغم توفرها في المستشفيات الاهلية.. وعندما سألنا عن السبب علمنا ان ما يتوفر في السوق المحلية لم يخضع الى الفحص المتكامل من قبل جهاز التقييس والسيطرة النوعية ومختبرات الصحة المركزية.. وان هناك كميات من تلك الخيوط تنتظر دورها في الفحص..

كما علمنا ايضاً ان احد الاطفال الذين تم تسفيرهم الى الخارج لاستكمال العلاج اجريت له عملية جراحية كانت خيوطها- منتهية الصلاحية- وقد ساءت حالة ذلك الطفل.

نقطة ضوء

من يوقف هجرة الأطباء؟

محمد درويش علي

يد الطبيب رحيمة، وشافية، وتبعث على الإطمئنان لدى المريض. وكلامه له وقع السحر على المريض أيضاً، فضلاً عن وضع جديد يفرضه على المريض شعوراً منه بأهميته للعبور إلى ضفة الشفاء. وكثيراً ما نسمع عبارات تلقائية، تنبعث من أفواه من لديهم مريض، ويخشون موته، وهم يخاطبون الطبيب: دكتور على الله وعليك!

والشائع عندنا أن الطبيب ينادى بالدكتور، وحينما يسمع أحد كبار السن أن فلاناً دكتور، يتراود إلى ذهنه، أنه طبيب.

وحينما تقول له: إنه دكتور في الفيزياء، أو الرياضيات، أو الأدب، أو باقي المعارف الأخرى، فإن هذا القول لا يشكل عنده شيئاً كبيراً لأنه (قافل) على أن الدكتور هو الطبيب!

وفي تراثنا الغنائي أغنيات كثيرة تمجد دور الطبيب، الدكتور، أبرزها أغنية داخل حسن، دكتور جرح الأولي عوفه، جرح الجديد عيونك تشوفه! وأغنية جميلة لفهد بلان: جس الطبيب لي نبضي فقلت له يا سيدي اترك يدي، أن التألم في كبدي، فاترك يدي! وقبل داخل وفهد بلان، كان محمد عبد الوهاب قد غنى لطبيب العيون.

من كل هذا، أن نذكر بأهمية الطبيب ودوره في المجتمع، والمجتمع الذي لا يوجد فيه طبيب مرموق، أو أطباء مرموقون فإنه عرضة للأمراض والأوبئة، وتفشي حالات العلاج باللجوء إلى السحر والشعوذة.

المهم من كل هذا، أن نذكر بأهمية الطبيب ودوره في المجتمع، والمجتمع الذي لا يوجد فيه طبيب مرموق، أو أطباء مرموقون فإنه عرضة للأمراض والأوبئة، وتفشي حالات العلاج باللجوء إلى السحر والشعوذة.

وفي مجتمعنا العراقي عدد كبير ومن مختلف الاختصاصات، أطباء أكفاء مشهود لهم من خلال الجامعات العالمية، والممارسة العامة بين الناس. وكلنا يذكر الطبيب الجراح خالد ناجي المصاب حالياً بالشلل، القابع في بيته، والذي تحولت عيادته في منطقة حافظ القاضي، إلى مكتب للسفريات، كيف أنه اكتشف طريقة بغداد لمعالجة الحروق في لندن، والقادمون من هناك أي من لندن، يؤكدون أن له تمثالاً نصفياً في مدخل كلية الطب في إحدى الجامعات في لندن، تقديراً وتثميناً لدوره الإنساني. وإذا ما ذكرنا هذا الطبيب العراقي، فإن هنالك العشرات من الأسماء الطبية المهمة، على المستوى المحلي والعربي والعالمي. وما يؤسف له أن هؤلاء الأطباء المهمين غادروا العراق، ليمكثوا هنالك في الغربة، بعد أن اختطف وقتل وتعوق منهم الكثيرون، وباتوا صيداً سهلاً لأية عملية إجرامية، مما جعلهم يشعرون بأن البلد لا يريدهم.

نعم غادرونا، وبقي عدد آخر منهم ينتظر دوره في الرحيل، ليكون بإمكانه وضع البلسم على الجروح هناك، بدلاً من أن يتعرض للموت والإهانة على يد مجاميع ليس بإمكانها قراءة أي شيء، أو يعرف فرق الألف من الباء، أو الثرى من الثريا!

السؤال هو: من يوقف هذا النزف، نزف هجرة الأطباء؟

إنه سؤال يتردد بين الناس، وهم يتلمسون ويرون العيادات المغلقة، ويسمعون بالأطباء المهاجرين، خوفاً من كل التبعات التي تسيء إلى سمعة هذا الكائن الملائكي، الذي من حقنا جميعاً المحافظة عليه ليؤدي واجباً، يقف في مقدمة الواجبات الإنسانية الأخرى!

هل تستطيع الحكومة تأمين حياة هؤلاء؟ وهل نحن في مأمن من الخطر لنؤمن حياة هؤلاء؟ سؤال يتكرر، لكنه متشعب ومتشابك، مثل وضعنا السياسي والأمني والاقتصادي!

رحلة البحث عن طبيب

أطباء غادروا إلى دول الجوار وعيادات تأكلها الوحشة والتراب

بغداد/ محمد شفيق

اضطررت إلى مراجعة طبيب، أي طبيب، شرط أن يكون اختصاصه الأمراض الباطنية، بسبب آلام القولون، فاقترح صديقي أن نذهب معاً، لئلا تحصل مضاعفات، ليكون عندها عوناً لي، شكرته وذهبنا معاً، وبدأنا نقرأ اللافتات التي طمرها الغبار وتراكم عليها الصدأ، فاخترنا أحد الأطباء، وصعدنا إلى الطابق الذي تقع فيه عيادته، في عمارة شبه مهجورة. باب العيادة كان مقفلاً، ولم يكن هنالك من نسأله، فنزلنا إلى الشارع من جديد، وبعد السؤال والجواب دخلنا في عمارة أخرى، وصعدنا إلى طابق يفترض أن يكون فيه أكثر من عيادة. عيادات كثيرة، مقفلة، ومن التراب والصدأ ووحشة المكان بإمكانك أن تعرف، كم مرّ من الزمن على هذه العيادات وهي مقفلة!وقعت عيوننا على عيادة مفتوحة، دخلنا إلى صالة الاستقبال، وهي صالة بائسة، فيها كراسي متسخة، وحاجيات فائضة عن استخدامات الطبيب، ولا علاقة لها بعيادة مثل هذه! قال صديقي: كنت أود لو معي الكاميرا، لصورت كل هذا. كان الطبيب منهمكاً مع مريضه، خرجنا من عيادته وسألنا أحد الأشخاص عن اختصاص هذا الطبيب، الذي لا تدل اللافتة الصغيرة التي على بابه، أنه صاحب اختصاص المهم تعذر علينا وجود طبيب في هذه العمارات الكثيرة، التي تضم عشرات العيادات، فعدنا نبحث عن مضمد صحي، أشار علينا أحدهم بمراجعته.

المضمدون أطباء ولكن..

كان المضمد شاباً، يحمل طموح الشباب معه، فقاس ضغطي أولاً وتبين له ولنا، أن الضغط طبيعي، غير منخفض وغير مرتفع. زرقني أبرة وتمنى لي الشفاء!

تذكرت مجاميع المضمدين في الأحياء السكنية، وهم يقومون بواجبات الطبيب إلا العمليات الكبرى، ولديهم أنواع من المهدئات والأبر والمراهم، ويحفظون عن ظهر قلب عبارات الأطباء، ابتعد عن الضغط النفسي، وابتعد عن الدهنيات والطرشي والحلويات وما إلى ذلك. وبعدها يمنحون مريضهم الأقراص إن احتاج إليها، أو الأبر، أو المراهم. وعند إجراء بعض العمليات الصغرى عليك أن تتحمل كل الآلام لينجز مهمته بنجاح، لعدم وجود مخدر عنده.

هكذا بدأ المضمدون يتكاثرون، قرب العيادات الطبية، في الشوارع والمناطق المزدحمة بالسكان. وبات لكل واحد منهم مراجعوه ومعارفه وأصدقاؤه الذين يترددون عليه والكثير من المرضى، يفضلون هذه الأيام مراجعة عيادات المضمدين، لأن أجورهم رخيصة أولاً، وموجودون بشكل دائمي منذ الصباح وحتى الليل في عياداتهم. وبالإمكان إيقاظهم في الليل لتدارك الحالات الطارئة التي تحصل لأبناء المنطقة التي يوجدون فيها.

يقول المواطن صباح عبد الله مرزوق: أفضل الذهاب إلى المضمد، لأن لديه الأدوية التي يحتاج إليها المريض، أما مراجعة الأطباء، فباتت بلا جدوى، لأن الكثير من الأطباء تركوا البلد وغادروا، وإن وجد طبيب ما، فإن الأدوية غير موجودة. أما المستشفيات فهي الأخرى لا توجد فيها أدوية، ويكتفي المريض بتشخيص الطبيب المقيم.

نعم هذه هي حقيقة الوضع الصحي، فالمريض يجري بين البحث عن طبيب أو الأدوية أو التشخيص السليم.

أين ذهب الأطباء؟

من يقم بجولة في عمارات شارع السعدون، تلك العمارات التي كانت تضم أعداداً من الأطباء الاختصاص الذين يعول عليهم، في جميع الاختصاصات، مثل العيون وجراحة القلب، والباطنية، والجلدية، والحساسية، والمفاصل، والطب النفسي، والجهاز الهضمي. فإنه يعرف حجم المأساة، حينما يرى بعينيه تلك العيادات الفارغة، المهجورة إلى إشعار غير معلوم. وعندما تسأل: أين الطبيب الفلاني، يأتيك الجواب: سافر. لماذا سافر؟ اختطف وبعد أن أطلق سراحه قرر عدم البقاء في بغداد، واختار الرحيل إلى دول الجوار.

عيادات بيتية

يقول أحد المرضى: كنت أراجع الطبيب م. ت وهو اختصاص في الدماغ، انقطعت عنه لخمسة أشهر، وحينما راجعته من جديد، قيل لي أنه اختار الذهاب إلى السليمانية، ليفتح عيادة له هناك! والسبب واضح هو الخوف من الاختطاف أو القتل. تحرينا كثيراً عن وجود بعض الأسماء المهمة في الطب وهل صحيح أنهم سافروا، أم ما زالوا يقيمون في بغداد، متخفين عن الأنظار؟

فاتضح لنا أن عدداً من الأطباء، اتخذ من مكان غير معلوم عيادة له، وأخبر فقط مرضاه الذين يثق بهم بذلك المكان، فيذهبون إليهم تحت مسميات أخرى.

أحد الأصدقاء قال: الطبيب الذي يعالج أمي، اراجعه في بيته، اتصل به أولاً، ثم اتفق على موعد معه، واذهب إليه بصفة ضيف. أجوره مضاعفة جداً ولكن لا حل آخر لديه، أو لدينا.

ألا يحصل ازدحام في بيته، بسبب المراجعين؟

كلا، لأنه تخلى عن الكثير من مراجعيه، واحتفظ بعدد قليل، يأخذ منهم أجوراً مضاعفة! يوازن بها وضعه، حينما كان في العيادة والآن!

مريض آخر قال: راجعت أحد الأطباء في عيادته، وطلب مني مبلغاً غير معقول، واضطررت لسؤاله لماذا هذا المبلغ؟

أجاب بغضب: أنا هنا أجازف بحياتي، كمن يلعب القمار، ألا استحق أن أحصل على أجر كهذا؟

واضاف المريض: شعرت بأن كلامه فيه من الصحة الكثير، لأن أي طبيب معرض للقتل.

الإحصاءات تشير إلى قتل واختطاف أكثر من أربعمئة طبيب خلال السنوات الثلاث الأخيرة وهذا رقم خطر يضاف إلى أرقام أخرى في القتل والاختطاف لأناس من اختصاصات أخرى، غير الطب. إنها محاربة معروفة لكل ما هو إنساني، ولكل ما من شأنه خدمة الإنسان في هذا البلد.

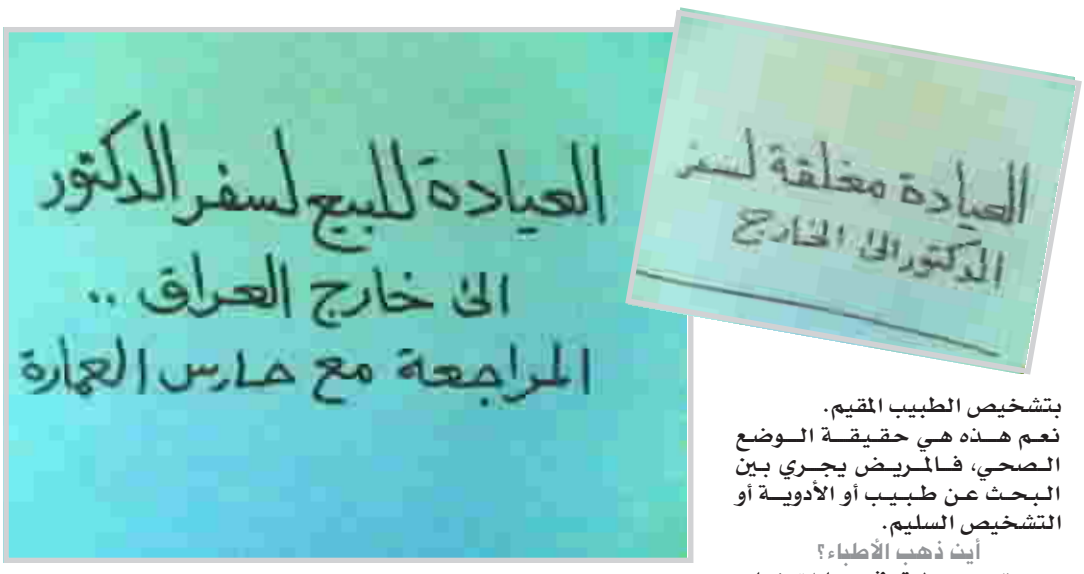

أطباء يقيمون في دول الجوار

الكثير من المرضى الذين لا يجدون أطباء أكفاء في هذه الفترة داخل العراق، بدأوا الذهاب إلى دول الجوار، للحاق بأطبائهم المقيمين هناك. فهم يتركون عناوينهم لدى سكرتارياتهم أو الأماكن التي كانت فيها عياداتهم.

هنالك يكون الفحص، ويكون التشخيص، أو إجراء العملية، والكلفة باهظة بالطبع والمتضرر هو المريض أو ذووه. فالطبيب العراقي في دول الجوار، يفيد حتى المرضى هناك، لأن الخبرة التي يمتلكها، والتشخيص الصحيح، يقفان وراء البحث عن الطبيب العراقي، أينما كان. فأعداد كبيرة من الأطباء العراقيين، تقيم في عمان ودمشق.

فالطبيب الذي تراجعه اليوم في بغداد، لا تجده بعد أسبوع، وكأنه طار على بساط الريح، واختار مأوى له في مكان آخر بعيداً عن الموت والتفخيخ والاختطاف والفدية والإهانة.

وما زالت أعداد المرضى من اليمن والأردن التي كانت تفضل أن تجري العمليات الجراحية لدى الأطباء العراقيين في بغداد في فترة التسعينيات ماثلة في الذاكرة، لأهمية الطبيب العراقي، ولنجاح عملياته الجراحية، بنسبة كبيرة جداً، وكذلك بسبب فارق العملة الذي كان يأتي في المرحلة الثانية. الآن انقلبت المعادلة، وباتت معادلة هرب الأطباء من العراق، وإجراء العمليات في دول الجوار، هي السائدة.

عشرات المرضى يشدون الرحال إلى دول الجوار، لإجراء الفحوصات والتحليلات والعمليات الجراحية هناك.

المواطن أحمد عبد القادر وهو يشكو وجود ماء أبيض في إحدى عينيه يقول: أجرى لي أحد الأطباء هنا، عملية جراحية في عيني، لكنها لم تنجح، احتاج إلى عملية أخرى لدى طبيب أكثر خبرة ودراية بأمراض العيون.

من الذي قام بها؟

طبيب ما زال في بداية طريقه، لأن الطبيب الذي أراجعه غادر البلد، اختطفوه، ثم أطلقوا سراحه مقابل مبلغ كبير من المال، وطالبوه بمغادرة البلد.

ما قاله هذا المريض ينطبق على سواه من المرضى الذين لم يجدوا ضالتهم في بغداد، بعد أن رحل عنها أهم أطبائها!

طبيب في منطقة شعبية، كان يتساهل بشكل غير طبيعي مع مرضاه، ومرات يتنازل عن أجور الفحص، تعرض إلى التهديد، باع عيادته واختفى!

إلى متى يستمر هذا المسلسل؟!

كلنا نتساءل: إلى متى يستمر هذا المسلسل المأساوي، وتغادر العقول المهمة البلد، ويفرغ من محتواه؟ ما تقوله عن الأطباء ينطبق على المهندسين، والصحفيين، ورجال الأعمال، ورجال السياسة، وأساتذة الجامعات، وكل من له علاقة بالحياة العراقية، وبديمومتها في الاتجاه الصحيح! هل نبقى ندفع هذه الضريبة القاتلة والثقيلة أم يأتي اليوم الذي تعود فيه المياه على مجراها الصحيح، عبر وضع أمني مستتب وحياة خالية من موت بلا مبرر؟